

## بين العلم والسحر

(١) هل من جديد؟

ما أبدع قول القائل

سنت كل قديم عرفته في حسابي

أن كان عندك شيء من الجديد فهات

ولكن ابن الجديد؟ لا جديد تحت الشمس

(٢) قدم الاختراعات الحديثة

وماذا أنت قائل، إذا عرفت أن أحدث الاختراعات التي نياحي بها مغرورين

حاسبين أنها لم تبتدع إلا في أيامنا هذه، ليست وليدة أفكار هذا العصر واسكنها

قديمة عريقة في القدم

ليس البخار والكهرباء والصور المتحركة والطائرات والبارود هي المخترعات

والا اكتشافات التي ميزت حضارتنا الحالية عن سواها من الحضارات القديمة؟ أليس

تتوارد على الخواطر كلما ذكر اسم التقدم والرقي وتتخذ أدلة على صحة ذلك

ولكن أتعلم أن الأقدمين قد اهتموا إلى كثير من مكتشفاتنا واختراعاتنا

الميكانيكية، كقطار البخار مثلاً منذ أجيال عدة قبل المسيح

وبما كنت لا تعلم ذلك، فإن جل هذه الاختراعات لم يطل بقاؤها ولم يتح لها

أن تتداولها الأيدي وتنوعها المقول مدة طويلة

حتى أن ما تقوم به الحكومة الإيطالية في هذه الأيام من تقرير مبلغ كبير من المال

لإزاحة الستر في مدينة «هر كيلانيم» قد أثار الطريق لعلماء وكشف لهم عن

مخترعات علمية وجدت من ألفي سنة خلت؛ وقد تجلّى للباحثين من الآثار الفضة

الرائحة ما يهر أبصارهم وحير ألبابهم وفاق كل حساب قدره المهندسون وعلماء الآثار

وزاد عليهم بالحياة القديمة ومدى تقدمها زيادة عظيمة

لقد رأوا أن الاختراعات التي نتخر بها اليوم من تقدم مصانعنا وإضاءة محالنا

وانتظام بريدنا وكل مجليات الراحة عندنا كانت تستخدم في تلك الأزمان النابرة،

ولكن باسم آخر ، غير اسم العلم ،

نعم كانت تستخدم باسم السحر ، تقنع الناس بقدره الكهان وتقوّمهم عليهم ، بما كانوا يظفرونه أمامهم من الاشياء الخارقة ، والمعجزات المدهشة ولحق ان الكهان قد أجهدوا أنفسهم أيما اجهاد ، وتكبّسوا من الغناء والنصب في الوصول الى هذه النتائج الباهرة ، توصلوا الى خداع الجاهلين والاحتيال على اقداعهم ، والظفر بتصديقهم !

وتم كانت هذه الاختراعات من الاسرار الخاصة التي لا تمدو جدران المعابد والهاياكل ، ولم تصبح سرا مناعها يعرفه الجمهور

فالكهان التقدماء قد توصلوا الى الإهتمام الى كل فرع ومبدأ من مبادئ العلوم الحديثة واستعملوه استقلالاً عملياً ، مدفوعين الى الاستنباط والاختراع بدافع الحاجة الشديدة الى الاحتيال على الناس وخداعهم

فلما اهتموا الى تلك القواعد العلمية الدقيقة ، احتفظوا بها كل الاحتفاظ ، فلم يظهروا عليها أحداً ، ضامين بسرّها المسكتون ان يذاع أو يعرف سواهم ، فإذا عرضوها أمام الناس فالما يفعلون ذلك باسم « الاسرار » أو « المعجزات »

نبي العلم

ولقد نبأ « روجر بيكون » نبي العلم في القرون الوسطى ، فأخبر الناس في أوائل القرن الثالث عشر ، اخبار الجازم المستيقن أن أكثر مخترعاتنا الحديثة كالسفن البخارية والسيارات والطائرات ونحو ذلك قد كان معلوماً للتقدماء

ولقد أكد للناس أن هذه الاشياء كانت مألوفة عندهم وانما ليست بحال ما غريبة عنهم

لقد عرفت فرائد البخار ، وانتفع بها في « بابل » في أوائل القرن الثامن عشر قبل المسيح ، وهناك ، كنت ترى الأكلة في هياكلها ومحاربيها تهزرووسها أو ترفع اذرعها ، بحركة ايديها تارة وفاتحة عينيهل تارة أخرى

والسر في ذلك ان في أسفل محراب الاصنام صندوقاً معدنياً أو حوضاً مخفياً بحيث لا تراه العيون ، وان بهذا الحوض أنبوبة متصلة بموقد النار المنصوب امام

هيكلة العبادة ، وأيوب آخر متصلا بتمثال لاله (قصرهم) وقد ركب هذان الانبيوان  
تركيبا ميكانيكيا دقيقا ، وأحكما احكاما

وقبيل البدن في اظهار المعجزة ، يصبون في ذلك الحوض المعدني ماء ساخنا ،  
ثم يضمون الفحم في الموقد المواجه للقصر ، وهذا الموقد كإسناننا متصل بالانبوب  
التي الحوض ، فتمنى أوقدوا الفحم ، انبعث البخار عن اناء الساخن ، فضغطه صوب  
القصر ، فحرك يديه أو حز رأسه أو فتح عينيه ، فظن من يراه أن به حياة ، وما به  
من حياة ، ولكنه ضاغط البخار وحده

واقعد كان (يوستريتش) صنعا مشهورا لدى الثيروتون في المانيا ، وقتها كانت  
خابطة في ظلام العيزرية والجهالة ، ولم تكن أهرامه ومعجزاته انظارقة ناجمة عن شيء  
غير البخار ذلك انه كان مصنوعا من الممن ، وانه كان أجوف الرأس مركبة ديناه  
وقود من صامات (سدادات) خشبية متحركة غير مشيتة

فتمنى أوقدوا الفحم فوق رأسه ، سخن الماء الذي بداخله فاندفع البخار المضغوط  
يتلمس مخرجها له ، فحرك العينين والفم ، فخال الناس ان الاله شاخص اليهم بصره  
وانه يتمتم لهم بضع كلمات :

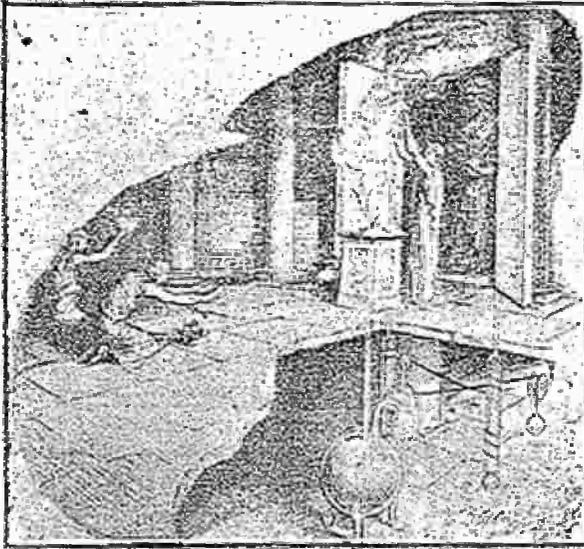
### معجزات أخرى

وقد وصف كاتب ومهندس يوناني من اهل القرن الاول الميلادي قاطرة  
بخارية نعداها الاولى من نوعها ، كما حدث عن عماليل كانت تخرج المياه من أفواهاها ،  
وحيات معدنية كانت تفتح فمحيهاصناعيا

كذلك حدثنا ذلك العالم عن البراعة النادرة التي تتم عليها دقة معرفة الاولين  
بطريقة استعمال السوائل واستيعاب خصائصها واضطلاحهم بلم الغازات ومزايها  
الميكانيكية والانتفاع بنتائج ذلك في الهياكل والمعابد اليونانية قال :

واقعد كانت تفتح الابواب دون أن تمسها يد كما لو ان الآلهة تفتحها

وعلة ذلك ان النار التي يشبونها فوق المذبح تدفع الضغط الى الانبواب المتصل  
بالحوض المعدني وذلك يدفع الضغط الى لولب متصل بالباب فيفتحه بقوة الضغط  
عليه



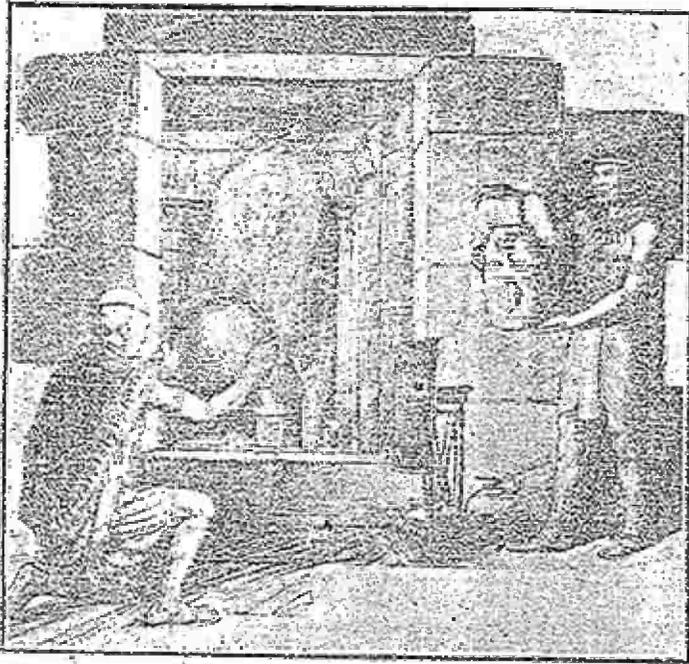
هكذا كانت تفتح دور الهياكل اليونانية دون ان نمسها يد انسان كما تفتح  
قوة الالهة حين يبدأ الكاهن باضرام النار في المذبح

فاذا هبت النار خف الضغط فعاد الباب الى ما كان عليه من ارتجاج، ومتى  
رآه الناس في جالي فتحه واخلاقه دون ان يلمسه انسان حسبوا ذلك معجزة من معجزات  
السحر وليست في حقيقتها الا ظاهرة من ظواهر العلم ومعجزاته وحده  
ولا تنس ان المصاصات التي تستعملها اليوم في جذب الماء ورفع الجبال قد  
كانت تستعمل في تلك الايام في اجواف الطيور المصنوعة فتمكنها من شرب الماء  
بأفواهها كما هي طيور حقيقية

معبد الاسكندرية - المرأة المقفرة

وقد وصف (دامكوس) فيلسوف دمشق الذي تلقى علومه في اثينا في القرن  
السادس من الميلاد - وشرح ما يلقاه الانسان في معبد اسكندرية بمصر  
بيدو امامك في أول الامر فوق حائط المذبح نور ضئيل ثم يزداد النور  
ويتعظم الضوء حتى يتخذ امام عينيك شكل وجه ، يدخل في فؤادك الروعة لقد استه  
وغرائبه ، عليه سباب الجذع والدعة بل والجمال أيضا

وأما جاء هذا التباس من وضع وجه يشبه ثورجه فتدني لرسم أمك في حجرة خفية مظلمة ، وقد أمك الكاهن ( كإتراد في الصدر ) مرآة مقعرة في يده وهي التي



صورة كاهن مصرى ماسك بيديه المرآة المقعرة التي تـعكس عليها صورة الاله من الحجر المظلمة المجاورة فتبدو للناظرين جليلة واضحة بفضل المرآة المقعرة

تتقل الصورة المعكوسة ، الى الصورة الواضحة امامك

وهذه ظاهرة ربما شاهدتها بنفسك وأنت جالس في منزلك في غرفة مظلمة

متفلة حينما تشرق الشمس خارجا ، ساطعا ضوءها بشدة ، فإن ما يمر من الاشياء

خارج الحجرة - في الشارع - يتقد داخل الحجرة من أحد خروق النافذة الضيقة

فتنسى الصورة أمامك على الفرقة

ولا تنسى فعل البخور والدخان حين يختلط بهذه الصور في وسط تلك المعابد

القدسية ، وانثنان اولئك السحرة في اكنان تلك المرايا المقعرة العاكسة في تليس

الحق بالباطل ، فلا يرى الناظر إلا اشباح الاصنام متحركة كأنها هي حية مكتملة

الحياة ، وكأما أنت تشهد رؤية سينما حديثة ما تراه في هذه الايام

## (٦) البومة الطائرة

وقد اخترع عالم يوناني في سنة ٤٠٠ قبل الميلاد بومة قادرة على الطيران، واكتشفها  
اذا هبطت لا يمكنها ان تعاود فعلها ، الا اذا اطارها صاحبها بنفسه  
وقد غلبها بعض العلماء الاقدمين بانها معمورة بروح خفي ، ولكن عالما آخر هو  
( بوليوس ) عال طيرانها بوجود الآلات الخفية التي بداخلها ، وليس بخفي علينا  
الآن ان مثل هذا الطائر لم يكن الا نوعا من الطيارات ، وان ذلك ( الروح ) الذي  
يتمتها الى الطيران ليس الا غازات الهواء المضغوطة التي تدفع الجهاز الى الارتفاع

\* \* \*

ولا تنس النسر الطيار الذي اخترعه وصنعه من الحديد وأطاروه بحرأى من



الامبراطور « مكمليان » ودار

حوله محققا ثلاث مرات

(٧) الطيارات القديمة

ومثي كان الشيء بالشيء

يذكر ، فليس يسعنا اغفال ذكر

تمثال الاله (ابولو) الذي كان يعرضه

قسيس اليونان في الاحتفالات

الدينية العامة امام الناس منذ ٥٠٠

سنة ق. م. فاذا اجتمع الناس ،

ارتفع لتمثال امام اعينهم في الفضاء

حتى اذا غلبها بدأ يهبط ثانية امام

اعينهم على اكتاف السحرة ، وقد

كان هذا التمثال اجوف ممتلئا

بالبازات الخفيفة القادرة على رفعه

في الجو مدة قليلة

ولكن أعجب من ذلك

العربة الطائرة التي كان يستعملها اليونان في  
احتفالاتهم الدينية من أكثر من عشرين قرنا وفي  
أعلاها جعبة تحوى الغازات التي تطيرها وكانوا  
يوهمون العامة بانها تطير بفعل اله صغير داخل  
تلك الجعبة

وأغرب ، العربية الطائفة التي يتودها الساحر في اجواز القضاء ، كما يقول المؤرخون وقد وضع في أعلاه ( الله صغير ) لف في عيبة (١) مرتمعة ، ولا جرم كان ذلك الاله الصغير غازاً يملأ اجواز تلك العيبة ، وعلى جانبي تلك العربية اجنحة قوية محكمة التركيب دقيقة الصنع تديرها آلات قوية

(٨) اختراع البارود

ولعلك تذكر ان اختراع البارود كان في الصين منذ أجيال عدة قبل تأسيس الامبراطورية الرومانية في سنة ٣٠٠ ق. م وان السحرة كانوا يرضونه كما تعرض المعجزات في احتفالاتهم الدينية ، وقد كانوا يحسبون ان الامبراطورية قد نلت سره من ملك سباري

(٩) خاتمة

وجاع القول ان رجال الدين القدماء كانوا يبذلون من ضروب العناء والوان التعب في سبيل التأثير على العامة واذناعتهم بمقدرتهم وتماليمهم الدينية بمقدار ما يبذله علماء اليوم في سبيل تنم العلم !

فباسم السحر والاطلاس والدين كانوا يصلون الى تلك النتائج الباهرة في خابر الزمان ، وباسم العلم والبحث يصل العلماء الى نفس هذه النتائج اليوم غير ان تلك النتائج كانت اسراراً استأثر بها السكمان اما هذه النتائج فهلك مشاع للانسانية جمعاء

الحب ديني وايماني

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبني  
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة  
فرعى لغزلانٍ ودير لرهبان  
وألواح نوراة ومصحف قرآن  
إذا لم يكن ديني الى دينه داني  
ركائبة فلحُب ديني وايماني  
أدين بدين الحب أني توجهت  
محبي الدين بن عربي

(١) غرارة - جبية